الخروج من الجحيم
سيد أحمد أمين
دين

{الخروج من الجحيم}

إهداء:

قال رسول الله عليه وسلم(كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قيل ومن يأبى يارسول الله؟ قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)

مقدمة:

إلى كل قلب قاسٍ لا تهزه الرسائل ولا تحركه المشاكل لا يتعظ بالآيات ولا يتأثر وفي الدنيا يهيم وعلى وجهه وعن الآخرة يغفل عن مستقره ومحل رجعته فاستعبده الشيطان وتملكته الأهواء فانقاض لنفسه وعصي ربه فلا القرآن يوعظه ولا البلاء يوقظه إليك يا أخي ،يامن ضعفت ولم تقوى على مجابهة الشهوات إليك كتابي هذا ،ففيه ستجد ضالتك وترى سفينتك التي تأخذك إلئ شاطئ النجاة وجنة الأنبياء فهيا عش معي حتى تنجو وننجو معاً ، فالحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات والذي أحيا وأمات والذي خلق فسوى وقدر فهدى والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى، فتبارك الله رب العالمين ونصلي ونسلم على معلم الناس الخير وناشر النور ومخرج الناس من ظلمات الجهل والكفر الى نور الحق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن صار على نهجه الى يوم الدين وعلى آلة وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ثم أما بعد:

الفصل الأول:

عوامل ثبات واستقامة النفس:

أتحدث بأمر الله وبفضله وكرمه وتوفيقه عن قلب لا يستقيم أبداً ولا تراه يمشي على طريق الحق أبداً ولو لعدة شهور ، فكلما أراد أن يستقيم فلا يقوى على ذلك فتتعثر أقدامه وينكب على وجهه فيتجرع الوحل والرجس والأوساخ وينبش في الرذيلة ليستخرج منها أقذر ما فيها من عفن ونتن وجيف فتراه وقد أقبل على الحرام كالجوعان ويفعل المعاصي بكل شرةٍ كالظمئان وينسي ربه ولا يتذكر الموت ولا النار ولا ما يعرفه من حق وصواب أو حتى يسمع نفسه اللوامة ولو مره فكلما نطقت لتحرك فيه نزعة الإيمان وبقايا الصلاح في نفسه يصدها ويتعذر لها بشتى الأعذار، فهل لهذا القلب الذي يود أن لو استقام على الطريق؟ لكنه يبحث عمن يدله على هذا الطريق ؛فيا أخي ويا أختي تعالا معي لنبحث عن هذا الطريق فلعلنا نهتدي إليه حتى لا نخسر دنيانا وأخرانا، يقول الله سبحانه وتعالى (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائفٌ من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون وإخوانهم يمدونهم في الغير ثم لا يقصرون) فمن سار على طريق الهداية تعرض له الشيطان

بالإغواء والكيد حتى يحيد به عن طريق الصلاح ويدخله معه النار، ألا ترى أهل السكر والزنا والفواحش ماذا يفعل معهم وقد انغمسوا في الوحل والمعاصي ، فإنما يقف دوماً على طريق الأتقياء ليعثّر خطاهم ويعرقل مسعاهم ، فيقول الله عز وجل متحدثاً عن الشيطان وهو يتوعد بني آدم بالإغواء والكيد والمكر(..... ولأتينهم عن أيمانهم وعن شمائلهم ثم لا تجد أكثرهم شاكرين... الآية) فقد توعد بالإغواء ما بقي في الدنيا ، فيقف من أراد الاستقامة موقف المدافع دوماً ليكون كالمرابط الذي يحرس ما وكل به فلا نوم للعين ولا راحة للقلب ولا لذة للعيش في الدنيا حتى دخول القبر لأن عدوك لا يغفل عنك ولا تنام عينه، ولا يغمض له جفن، فتعالى معي نضع بعض النقاط لنسير عليها حتى لا نكون في أول الطريق:

أولاً : التوبة التي لا تشوبها شائبة:

أي إذا تبت فلا تبقي في قلبك أي أثرٍ للذنوب ولا تتذكر ما كان من ذنب ولا تسر بما كنت تفعله من معاصي ولا يتحرك قلبك لريح المعاصي إذا هبت.

ثانياً: الدعوة الى الله:

فالماء الطاهر في نفسه لا يكون مطهراً لغيره، فكذلك المستقيم لا يدوم على الاستقامة لو لم يدعوا غيره.

ثالثاً: المحافظة على الصلاة كلها في وقتها:

ولا سيما صلاة الفجر وقيام الليل وصلاة النوافل.

رابعاً: قراءة كتاب الله وحفظه وتعلمه والزود عنه وعن سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

خامساً: قطع كل ما يوصلك الى المعصية التي تضعف أمامها وإلا سقطت.

سادساً: إياك والفراغ:

فإنه الداء القاتل والسم الهالك واشغل نفسك حتى لا تشغلك هي ، وهناك أيضاً ما يجعل النفس تستقيم ولا تحيد عن الجادة ما بقيت على الدنيا ، فسنذكر ما يوصلنا الى هذا المسلك والى

طريق الاستقامة بعون الله، فيتكلم بن القيم الجوزية رحمه الله عن الاستقامة فيقول لا تكتمل الاستقامة في الأحوال والأقوال والأعمال، إلا بشيئين اثنين:

أحدهما: حراسة الخواطر وحفظها ، والحذر من إهمالها والاسترسال معها ، فإن أصل الفساد كله من قبلها يجيء ، لأنها هي بذر الشيطان ، والنفس في أَرض القلب ، فإذا تمكن بذرها تعاهدها الشيطان بسقيه مرة بعد أخرى حتى تصير إرادات، ثم يسقيها حتى تكون عزائم، ثم لا يزال بها حتى تثمر الأَعمال ولا ريب أن دفع الخواطر أَيسر من دفع الإِرادات والعزائم ، فيجد العبد نفسه عاجزاً أو كالعاجز عن دفعها بعد أن صارت إرادة جازمة، وهو المفرط إذا لم يدفعها وهى خاطر ضعيف ، فهو كمن تهاون بشرارة من نار وقعت في حطب يابس ، فلما تمكنت منه عجز عن إطفائها، فإن قلت: فما الطريق إلى حفظ الخواطر؟ قلت: أسباب عدة.

أحدها: العلم الجازم باطلاع الرب تعالى ونظره إلى قلبك وعلمه بتفصيل خواطرك.

الثاني: حياؤك منه.

الثالث: إجلالك له أن يرى مثل تلك الخواطر في بيته الذى خلقه لمعرفته ومحبته.

الرابع: خوفك منه أن تسقط من عينه بتلك الخواطر.

الخامس: إيثارك له أن تساكن قلبك غير محبته.

السادس: خشيتك أن تتولد تلك الخواطر فيستعر شرارها فتأْكل ما في القلب من الإيمان ومحبة الله فتذهب به جملة وأنت لا تشعر.

السابع: أن تعلم أن تلك الخواطر بمنزلة الحب الذى يلقى للطائر ليصاد به ، فاعلم أن كل خاطر منها فهو حبة في فخ منصوب لصيدك وأنت لا تشعر.

الثامن: أن تعلم أن تلك الخواطر الرديئة لا تجتمع هي وخواطر الإيمان ودواعي المحبة والإنابة أصلاً، بل هي ضدها من كل وجه، وما اجتمعا في قلب إلا وغلب أحدهما صاحبه وأخرجه واستوطن مكانه فما الظن بقلب غلبت خواطر النفس والشيطان فيه خواطر الإيمان والمعرفة والمحبة فأَخرجتها

واستوطنت مكانها، لكن لو كان للقلب حياة لشعر بألم ذلك وأحس بمصابه.

التاسع: أن يعلم أن تلك الخواطر بحر من بحور الخيال لا ساحل له، فإذا دخل القلب في غمراته غرق فيه وتاه في ظلماته فيطلب الخلاص منه فلا يجد إليه سبيلاً، فقلب تملكه الخواطر بعيد من الفلاح معذب مشغول بما لا يفيد.

العاشر: أن تلك الخواطر هي وادى الحمقى وأماني الجاهلين ، فلا تثمر لصاحبها إلا الندامة والخزي ، وإذا غلبت على القلب أورثته الوساوس وعزلته عن سلطانها وأفسدت عليه رعيته وأَلقته في الأسر الطويل كما أن هذا معلوم في الخواطر النفسانية فهكذا الخواطر الإيمانية الرحمانية هي أصل الخير كله، فإن أرض القلب إذا بذر فيها خواطر الإيمان والخشية والمحبة والإنابة والتصديق بالوعد ورجاء الثواب ، وسقيت مرة بعد مرة ، وتعاهدها صاحبها بحفظها ومراعاتها والقيام عليها ، أثمرت له كل فعل جميل ، وملأت قلبه من الخيرات ، واستعملت جوارحه في الطاعات، واستقر بها الملك في سلطانه واستقامت له رعيته ، ولهذا لما تحققت طائفة من السالكين ذلك عملت على حفظ الخواطر، وكان ذلك هو سيرها وجل عملها وهذا نافع لصاحبه بشرطين:

أحدهما: أن لا يترك به واجباً ، ولا سنة.

الثاني: أن لا يجعل مجرد حفظها هو المقصود بل لا يتم ذلك إلا بأن يجعل موضعها خواطر الإيمان والمحبة والإنابة والتوكل والخشية فيفرّغ قلبه من تلك الخواطر ويعمره بأضدادها ، وإلا فمتى عمل على تفريغه منها معاً كان خاسراً ، فلا بد من التفطن لهذا ، ومن هنا غلط أقوام من أرباب السلوك وعملوا على إلقاء الخواطر وإزالتها جملة فبذر فيها الشيطان أنواع الشبهات والخيالات فظنوها تحقيقاً وفتحاً رحمانياً ، وهم فيها غالطون ، وإنما هي خيالات وفتوحات شيطانية، والميزان هو الكتاب الناطق والفطرة السليمة والعقل المؤيد بنور النبوة ، والله المستعان.

الفصل الثاني:

صدق التأهب للقاءِ الله:

ويقول بن القيم أيضاً:

(من أنفع ما للعبد وأبلغه في حصول استقامته ، فإن من استعد للقاءِ الله انقطع قلبه عن الدنيا وما فيها ومطالبها، وخمدت في نفسه نيران الشهوات وأخبتَ قلبه إلى ربه تعالى وعكفت همته على طاعة الله وعلى محبته وإيثار مرضاته ، واستحدثت همة أُخرى وعلوماً أخرى وولد ولادة أُخرى تكون نسبة قلبه فيها إلى الدار الآخرة كنسبة جسمه إلى هذه الدار بعد أَن كان في بطن أُمه فيولد قلبه ولادة حقيقية كما ولد جسمه حقيقة، وكما كان بطن أُمه حجاباً لجسمه عن هذه الدار فهكذا نفسه وهواه حجاب لقلبه عن الدار الآخرة، فخروج قلبه عن نفسه بارزاً إلى الدار الآخرة كخروج جسمه عن بطن أُمه بارزاً إلى هذه الدار، وهذا معنى ما يذكر عن المسيح أَنه قال: "يا بنى إسرائيل، إنكم لن تلجوا ملكوت السماءِ حتى تولدوا مرتين"، ولما كان أَكثر الناس لم يولدوا هذه الولادة الثانية ولا تصوروها فضلاً عن أن يصدقوا بها فيقول القائل: كيف يولد الرجل الكبير أَم كيف يولد القلب، ولم يكن لهم إليها همة ولا عزيمة، إذ كيف يعزم على الشيء من

لا يعرفه ولا يصدقه؟ ولكن إذا كشف حجاب الغفلة عن القلب صدَّق بذلك وعلم أنه لم يولد قلبه بعد والمقصود أَن صدق التأَهب للقاءِ الله هو مفتاح جميع الأَعمال الصالحة والأَحوال الإيمانية ومقامات السالكين إلى الله ومنازل السائرين إليهم اليقظة والتوبة والإِنابة والمحبة والرجاءِ والخشية والتفويض والتسليم وسائر أعمال القلوب.) انتهى كلام بن القيم.

-فهكذا يكون المرء مع قلبه فلا يستسلم أبداً لهواه أو لنزواته أو لشهواته كلما دعاه داعي الهوى ، فما أحوجَنَا للاستِقامة خاصَّة بعد اهتِزاز ثوابت الاستِقامة عند البعض، فمِنَّا مَن يحتاج إلى استِقامة، ومنَّا مَن يحتاج إلى تجْديد الاستِقامة، ومتابعة النَّفس من زيغِها وتهاوُنِها وتساهلها، ولكَم حكى زمانُنا اليوم نماذجَ ممَّن زاغت قلوبهم، فانتكسوا بعدما استقاموا، وحاروا بعدما كاروا، فنسألُ الله الثَّبات والسَّداد والزيادة، ونعوذ به من الحوْر بعد الكوْر، والنكوص بعد الاستقامة ، فلابد للمرء المسلم من دوام الاستقامة ، فعنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدالله الثَّقَفيِّ رضي الله عنْه قالَ: قُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لي في الإِسْلامِ قَوْلاً، لا أسْأَلُ عَنْهُ أحدًا بَعْدَكَ، وفي حَديثِ أبي أُسامَةَ: غَيْرَك قالَ: (قُلْ: آمَنْتُ بالله، ثُمَّ اسْتَقِمْ) الحديث أخرجه مسلم (قَوْلاً لا أسْأَلُ عَنْهُ أحداً بَعْدَكَ)؛ أي: قولاً لا أَحتاج إلى أحدٍ بعدَك يفسِّرُه لي، فأعمل بما تقول وأكتفي به. وفي هذا لدليلٌ على حرص الصَّحابة رضْوان الله عليْهم على العلم وسؤال النبي صلَّى الله عليْه وسلَّم عن أهمّ

الأعمال وأحكمها، وعلى تعلُّم الدين ففي هذيْن الأمرين جَمع النبيُّ الدين كلَّه؛ ولذا بوَّب النَّووي عليه "بباب جامع أوْصاف الإسلام"، فالحديث شمل عمَل القلب وهو الإيمان، وعملَ الجوارح وهي الاستقامة، فهو شامل للظَّاهر والباطِن ويدل أيضاً على أنَّ جماع الخير في الاستقامة بعد الإيمان، ولأنَّ شأنَها عظيم لذلك أرشد النَّبيُّ صلَّى الله عليْه وسلَّم لها حينما سأله عن شيء جامع، وجواب النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم هو الموافق لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الأحقاف: 13].ويتلخَّص الحديث عن الاستِقامة في المباحث الآتية: معنى الاستِقامة: معنى الاستقامة لغة: مصْدر "استقام"، مأخوذة من مادَّة (ق و م)، الَّتي تدلُّ على معنَيين، أحدُهُما: جماعة من النَّاس، والآخَر: اعتدال أو حزم، والمعنى الثَّاني هو المراد انظر: "لسان العرب" مادة (قوم) ،وأمَّا في الشَّرع، فمِن أفضل التَّعريفات ما ذكره ابن رجب رحمه الله بقوله: "الاستقامة: هي سلوك الطريق المستقيم، وهو الدّين القويم من غير تعويج عنه يَمنة ولا يسرة، ويشمل ذلك فعل الطَّاعات كلّها الظَّاهرة والباطنة، وترْك المنهيَّات كلّها كذلك"، انظر: "جامع العلوم والحكم" لابن رجب ص (193) وتنوَّعت أقوال السَّلف وتعدَّدت في مفهوم الاستِقامة، وبالجملة ترجع إلى ما ذكره ابنُ رجب رحمه الله وأنَّها تعني التمسُّك بالدين كلِّه والثَّبات عليه؛ ولذا يقول ابن القيِّم رحِمه الله: "فالاستقامة كلِمة جامعة، آخِذة بمجامع الدين، وهي القيام بين يدَي الله على حقيقة الصِّدْق والوفاء"، انظر:

"تهذيب مدارج السَّالكين" ص (529 (جماع الخير في الاستقامة وهي طريق النجاة: دلَّ على ذلك حديث سفيان بن عبدالله رضي الله عنه - قال: قُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لي في الإسْلامِ قَوْلاً، لا أسْأَلُ عَنْهُ أَحدًا بَعْدَك، قال: ((قُلْ: آمَنْتُ بِالله، ثمَّ اسْتَقِمْ)).فلمَّا كان شأن الاستقامة عظيمًا وهي أيضًا عزيزةٌ، أرْشد إليها النَّبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - بعد الإيمان، فمن النَّاس مَن يأتي بالإيمان اعتِقادًا وقولاً وعملاً لكنَّه يعوجُّ في طريقه ويقصِّر في عمله، والاستقامة هي الثَّبات على طريق الحقّ والاستملاك به، فهي طريق النَّجاة؛ ولذا أمر الله - عزَّ وجلَّ - بها ورتَّب عليها فضائل عدَّة، كما سيأتي. ، والاستقامة تكون في النيَّات والأقوال والأعمال: فمَن زعم أنَّه استقام على شرْع الله - تعالى - وظاهره يخالف ذلك، وتراه ربَّما يشير إلى صدْرِه ويقول: "التقوى هاهنا"، فزعمه باطل ودعواه كاذبة، فاستِقامة القلب تنقاد إليها الجوارح، فهي امتِحانه ودليله، وكما قال الشَّاعر:

إن ما تدعيه حقًّا ♦♦♦كذَّبته شواهد الامتحان وكذا مَن استقام ظاهرُه ولم يستقم قلبُه، فاستقامته مخرومة، فليست هي الاستِقامة التي يريدها الله تعالى، فمَن عمر قلبه بفتن الشهوات وساء عمله، حمل قلبًا مسودًّا أو قلبًا قليل التعلق بربه ومهابته وخشيته، وإجلاله وتعظيمه والتقرب إليه بالعبادات القلبيَّة، فأنَّى لقلبِه استقامة؟! وغالبًا ما يُظهر ما في القلْب اللسانُ، فتجده معبِّرًا عمَّا فيه، فمَن ساء قوله فكان كذَّابًا أو مغتابًا، أو نَمَّامًا أو فاحشًا بذيئًا، ونحو ذلك من آفات اللسان، فأي لسان استقام معه؟ ولذا؛ فإنَّ الاستقامة تكون

بالقلْب واللِّسان والجوارِح. يقول ابن القيم - رحِمه الله -: "والاستِقامة تتعلَّق بالأقوال والأفعال والأحْوال والنِّيَّات، فالاستقامة فيها وقوعها لله وبالله وعلى أمر الله. قال بعضهم: كن صاحب الاستِقامة لا طالب الكرامة، فإنَّ نفسك متحرِّكة في طلب الكرامة، وربّك يطالبك بالاستِقامة، فالاستقامة للحال بمنزلة الرُّوح من البدن، فكما أنَّ البدن إذا خلا عن الرّوح فهو ميت، فكذلك إذا خلا عن الاستقامة فهو فاسد، وقد قال شيخ الإسلام ابنَ تيمية - قدس الله روحه - يقول: أعظمُ الكرامة لزوم الاستِقامة". انظر: "مدارج السَّالكين" (2 /103)، وانظر تهذيبه ص (529ويقول ابن رجب - رحمه الله -: "أصل الاستِقامة استقامة القلْب على التَّوحيد، فمتى استقام القلب على معرفة الله وعلى خشيته وإجلاله ومهابته ومحبَّته وإرادته، ورجائه ودعائه والتوكُّل عليه والإعراض عمَّا سواه استقامت الجوارح كلّها على طاعته، فإنَّ القلب هو ملك الأعضاء، وهي جنوده؛ فإذا استقام الملك استقامت جنوده ورعاياه، وأعظم ما يراعى استقامته بعد القلب من الجوارح: اللِّسان؛ فإنَّه ترجمان القلب والمعبِّر عنه". انظر: "جامع العلوم والحكم" (193) بتصرّف يسير. فيا الله! كم تحتاج قلوبنا وألسنتنا وجوارحنا من مراجعة في استقامتها؟! ليس مفهوم الاستِقامة عدم الوقوع في الذَّنب. بل لا بدَّ من الذنب؛ ففي حديث أنس - رضي الله عنه - مرفوعًا: ((كلّ ابن آدم خطَّاء وخير الخطَّائين التَّوَّابون))؛ رواه أحمد والترمذي. والله - عزَّ وجلَّ - أمر مع الاستِقامة بالاستغفار من الذَّنب؛ ممَّا يدلُّ على أنَّ الاستقامة قد يقع فيها خلل، وهذا أمر وارد

ويُجبر بالاستغفار؛ فقال تعالى: ﴿ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ﴾ [فصلت: 6].قال ابن رجب - رحمه الله -: "وفي قوله - عزَّ وجلَّ -: ﴿ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ﴾ إشارة إلى أنَّه لا بدَّ من تقصير في الاستِقامة المأمور بها، فيُجبَر ذلك بالاستِغفار المقتضي للتَّوبة والرّجوع إلى الاستقامة، فهو كقوْل النبي - صلَّى الله عليْه وسلَّم - لمعاذ - رضِي الله عنْه - : ((اتَّق الله حيثما كنت، وأتْبِع السيِّئة الحسنة تمحُها))، وقد أخبر النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - أنَّ الناس لن يطيقوا الاستِقامة حقَّ الاستقامة، فقال - عليْه الصَّلاة والسَّلام -: ((استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أنَّ خير أعمالكم الصَّلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلاَّ مؤمن))، وفي رواية للإمام أحمد - رحِمه الله -: ((سدِّدوا وقاربوا، ولا يحافظ على الوضوء إلاَّ مؤمن))، وفي الصَّحيحَين: ((سدِّدوا وقاربوا))، فالسَّداد: هو حقيقة الاستقامة، وهو الإصابة في جميع الأقوال والأعمال والمقاصد، والمقاربة: أن يصيب ما قرب من الغرض إذا لم يصب الغرض نفسه، ولكن بشرط أن يكون مصمِّمًا على قصد السداد وإصابة الغرض "انظر: "جامع العلوم والحكم" (1 /510) بتحقيق الأرناؤوط. أمر الله - عزَّ وجلَّ - بالاستِقامة وحثَّ عليْها في عدَّة آيات، منها: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت: 30].وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ *أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأحقاف: 13، 14]. وقوله

تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ *صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة: 6، 7].وقوله تعالى: ﴿ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ﴾ [فصلت وقوله تعالى: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [هود: 112]. وقوله تعالى: ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس: 89].وقوله تعالى: ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ ﴾ [الشورى: 15]، وغيرها من الآيات الَّتي فيها الحثُّ على سلوك الصِّراط المستقيم، وهي كثيرة.

-مِن ثمرات الاستِقامة: مَن تأمل الآيات السَّابقة عرف أنَّ للاستِقامة ثمراتٍ عديدةً، منها: تتنزَّل على أهل الاستِقامة السكينة؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ [فصلت: 30]، فالملائكة تتنزَّل عليهم بالسُّرور والحبور والبشرى في مواطن عصيبة، قال وكيع: "البشرى في ثلاثة مواطن: عند الموت، وفي القبر، وعند البعث". انظر: تفسير القرطبي عند هذه الآية، وكذا "فتح القدير" للشوكاني. الطُّمَأنينة والسَّكينة؛ حيثُ قال تعالى: ﴿ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾؛ أي: لا تخافوا ممَّا تقدَمون عليه من أمور الآخرة، ولا تحزنوا على ما فاتَكم من أمور الدنيا، وقال عطاء - رحِمه الله -: "لا تخافوا ردَّ ثوابِكم فإنَّه مقبول، ولا تحزنوا على ذنوبكم فإنِّي أغفِرُها لكم". انظر المرجعَين السَّابقين. البشرى بالجنَّة؛ فقال تعالى: ﴿ وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾، وهذا هو الهدَف الذي ينشدُه كلُّ مسلم،

نسأل الله من واسِع فضله. سَعة الرزق في الدُّنيا؛ قال تعالى: ﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً ﴾ [الجن: 16]؛ أي: كثيرًا، والمراد بذلك سعة الرِّزق، وكما قال عمر بن الخطَّاب - رضِي الله عنْه: "أيْنما كان الماء كان المال". انظر تفسير القرطبي على هذه الآية. الانشراح في الصدر والحياة الطيبة؛ قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: 97]، ومن جاء بالاستقامة فقد عمِل أحسن العمل فاستحقَّ الحياة الطيّبة الهنيَّة. سبُل تحقيق الاستِقامة والمحافظة عليْها: للاستقامة والثبات عليها عدَّة مقوّيات ومغذّيات، منها:

1- فعل الطَّاعات والاجتِهاد فيها ومُجاهدة النَّفس عليْها:

ومن الأصول العقديَّة في مذهب أهل السنَّة والجماعة: أنَّ الإيمان يزيد بالطَّاعة وينقص بالمعصية، والأدلَّة على هذا الأصل كثيرة مستفيضة، وأهمّ ما يحافظ عليه العبد الصَّلوات الخمس وكذلك بقيَّة الفرائض، ويستزيد من النَّوافل ويكثر منها، وفي الحديث القدسي حديثِ أبي هُريرة - رضِي الله عنْه - مرفوعًا: قال الله - عزَّ وجلَّ -: ((وما تقرَّب إليَّ عبْدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ ممَّا افترضتُه عليْه، ومازال يتقرَّب إليَّ بالنَّوافل حتَّى أحبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمْعَه الَّذي يسمع به، وبصرَه الَّذي يبصر به، ويدَه الَّتي يبطِش بها، ورجْله الَّتي يَمشي بها))؛ رواه البُخاري. فيحفظ الله - عزَّ وجلَّ - جوارحَه

فلا يصدر منْها إلاَّ ما يُرْضيه - سبحانه - وبهذا يكون حقَّق الاستِقامة.

2-الاشتِغال بالعِلْم الشَّرعي وطلبه:

قال ابن القيم - رحمه الله -: "به يُعرَف الله ويُعبد، ويُذكر ويُوحَّد، ويُحمد ويُمجَّد، وبه اهتدى إليه السَّالكون، ومن طريقِه وصل إليه الواصِلون، ومن بابه دخل القاصرون". انظر: "تهذيب مدارج السَّالكين" (484).

3-الإخلاص في العلم والعمل:

فلا بدَّ من مجاهدة النَّفس على الإخلاص؛ فهو روح كل عبادة، وبه تستقيم النفس وتصدق مع الله في الأقوال والأعمال؛ قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ [الروم: 30]

4- الدُّعاء:

من مقويات الإيمان دعاء الله تعالى تحقيق الاستقامة والثبات عليها كما كان النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - يسأل ربَّه الثَّبات على الدين، وقد أمرنا بقراءة الفاتحة في كلِّ ركعة، وفيها نسأل الله - تعالى - فنقول: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ *صِرَاطَ

الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة: 6، 7]، فندعو الله تعالى؛ لأنَّ الاستقامة والثبات عليْها بيد الله - تعالى - حيث قال: ﴿ مَن يشأ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام: 39]

5.- الإكثار من قراءة القرآن:

ومحاولة حفْظِه أو ما تيسَّر منه، وكذلك تدبُّره والعمل به من أهم الأمور في تحقيق الاستقامة؛ فقد جعله الله تعالى سبيلا لِمن أراد الاستقامة؛ فقال: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾ [التكوير: 28]، وقال: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ﴾ [الإسراء: 9]، وعلى العبد ألاَّ يترُك ملازمة القرآن سواء من حفْظِه أو من تلاوتِه، تلاوة نظر؛ فمع تدبُّره ينال العبد نصيبًا من زيادة الإيمان الَّذي هو سبب كلِّ استقامة.

6-الصّحبة الصالحة:

لأنَّ صحبة البطَّالين وأهل المعاصي تضعف الاستقامة، تأمَّل كيف أنَّ الله - تعالى - بعد أن أمر بالاستِقامة حذَّر من الركون إلى أهل المعاصي؛ لأنَّ هذا يؤثر على الاستِقامة، فقال تعالى: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ *وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ [هود: 112، 113].قال أهل العلم: أي: لا تَميلوا إلى العصاة.

7-التوسط والاعتدال: لا إفراط وغلو وتشديد؛ فإنَّ النَّبيَّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: ((لن يشادّ الدين أحد إلا غلبه))؛ متَّفق عليه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه، وقال - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((هلك المتنطعون)) - أي: المتشدِّدون - قالها ثلاثًا، والحديث رواه مسلم من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه، وقال - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((اكلفوا من الأعمال ما تطيقون))؛ رواه البخاري، وأيضًا لا تفريط باتباع الرُّخص والهوى في الفتاوى ونحوها، ولكن الوسط في ذلك وهو اتباع سنَّة النبي - عليْه الصَّلاة والسَّلام. وهناك مقويات أخرى للإيمان، كالإكثار من ذكر الله تعالى، وذكر الموت، والحرص على سلامة القلب، ومجاهدة النفس والهوى والشيطان، بالابتِعاد عن الفتن ومواطن الغفلة، والخوف والحذَر من سوء الخاتمة، وتجديد التَّوبة والإنابة لله تعالى ومن معوقات الاستقامة: فكما أن للاستقامة مغذّيات ومقوّيات فإنَّ لها معوقاتٍ؛ فإنَّ عكس ما تقدم من المغذيات تكون معوّقات للاستقامة، فإهْمال الطَّاعات والتقليل منها، وترك مجالس العلم والذِّكْر، وعدم مجاهدة النَّفس على الإخلاص، وترك الدّعاء وقراءة القرآن، ومصاحبة أهل المعاصي وتتبُّع الرخص أو الغلوّ في الدين، وكذلك التعرُّض للفتن والشهوات وأماكن الغفلات - كل هذه وغيرها ممَّا تضعف الاستقامة، ويُضاف إليْها أيضًا:

1-الاستهانة بالمعصية:

فإذا كان العبد ممَّن يستهين بالمعاصي وفي الخلوات مع الشَّهوات، كان ذلك سببًا في مرَض قلبِه وبُعْده عن ربّه، وفي مسند الإمام أحْمد قال النَّبيُّ - صلَّى الله عليْه وسلَّم -: ((إيَّاكم ومحقّرات الذنوب؛ فإنَّهنَّ يجتمِعْن على الرجُل حتَّى يهلكْانه)).انظر: "صحيح الجامع" (2687).وقد تكلَّم عن ذلك وأجاد طبيب القلوب ابن القيم في ذِكْر آثار المعاصي، فيحسن الرُّجوع إلى كلامه الشَّافي في كتابه "الجواب الكافي". انظر: "الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي" ص (106.

2-الانشِغال بالدنيا عن الآخرة:

قال النَّبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((ما الفقرَ أخشى عليْكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدُّنيا عليْكم كما بُسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهْلِككم كما أهلكتْهم))؛ متَّفق عليه، وكذلك التوسُّع في المباحات يضْعف القلب ويجرُّ إلى التَّقْصير في الواجبات.

3-الوسط السيئ:

فالوسط السيِّئ، سواء كان في الصحبة أو الوظيفة أو الأسرة أو المجتمع بشكل عامّ، ممَّا يضعف الاستقامة، وتقدَّم قول الله تعالى: ﴿ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ [هود .

الفصل الثالث :

الثبات على دين الله مطلب أساسي لكل مسلم صادق يريد سلوك الصراط المستقيم بعزيمة ورشد وتكمن أهمية الموضوع في أمور منها وضع المجتمعات الحالية التي يعيش فيها المسلمون ، وأنواع الفتن والمغريات التي بنارها يكتوون ، وأصناف الشهوات والشبهات التي بسببها أضحى الدين غريباً ، فنال المتمسكون به مثلاً عجيباً (القابض على دينه كالقابض على الجمر) .ولا شك عند كل ذي لب أن حاجة المسلم اليوم لوسائل الثبات أعظم من حاجة أخيه أيام السلف والجهد المطلوب لتحقيقه أكبر ؛ لفساد الزمان ، وندرة الإخوان ، وضعف المعين ، وقلة الناصر وكثرت حوادث الردة والنكوص على الأعقاب ، والانتكاسات حتى بين بعض العاملين للإسلام مما يحمل المسلم على الخوف من أمثال تلك المصائر ، ويتلمس وسائل الثبات للوصول إلى برٍ آمن ارتباط الموضوع بالقلب ؛ الذي يقول النبي صلى الله عليه وسلم في شأنه : (لقلب ابن آدم أشد انقلاباً من القدر إذا اجتمعت غلياً) رواه أحمد 4/6 والحاكم 289/2 وهو في السلسلة الصحيحة 1772 . ويضرب عليه الصلاة والسلام للقلب مثلاً آخر فيقول : (إنما سمي القلب من تقلبه ، إنما مثل القلب كمثل ريشة في أصل شجرة يقلبها الريح ظهراً لبطن) رواه أحمد 408/4 وهو في صحيح الجامع 2361 . فسبق الحديث قول الشاعر : وما سمي الإنسان إلا لنسيانه ولا القلب إلا أنه يتقلب فتثبيت هذا المتقلب برياح الشهوات والشبهات

أمر خطير يحتاج لوسائل جبارة تكافئ ضخامة المهمة وصعوبتها.

-وسائل الثبات:

ومن رحمة الله عز وجل بنا أن بين لنا في كتابه وعلى لسان نبيه وفي سيرته وسائل كثيرة للثبات ،فأستعرض معك أيها القارئ الكريم بعضاً منها:

أولاً: الإقبال على القرآن: القرآن العظيم وسيلة الثبات الأولى وهو حبل الله المتين ، والنور المبين ، من تمسك به عصمه الله ، ومن اتبعه أنجاه الله ، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم.

-نص الله على أن الغاية التي من أجلها أنزل هذا الكتاب مفصلاً هي التثبيت ، فقال تعالى في عرض الرد على شُبه الكفار: (وقال الذين كفروا لولا نزّل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً ، ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً) الفرقان /32 . لماذا كان القرآن مصدراً للتثبيت؟ لأنه يزرع الإيمان ويزكي النفس بالصلة بالله - لأن تلك الآيات تتنزل برداً وسلاماً على قلب المؤمن فلا تعصف به رياح الفتنة ، ويطمئن قلبه بذكر الله - لأنه يزود المسلم بالتصورات والقيم الصحيحة التي يستطيع من خلالها أن يُقوّم الأوضاع من حوله ، وكذا الموازين التي

تهيئ له الحكم على الأمور فلا يضطرب حكمه ، ولا تتناقض أقوله باختلاف الأحداث والأشخاص.

-أنه يرد على الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام من الكفار والمنافقين كالأمثلة الحية التي عاشها الصدر الأول ، وهذه نماذج:

1- ما هو أثر قول الله عز وجل : (ما ودعك ربك وما قلى) الضحى /3 على نفس رسول الله ، لما قال المشركون : (ودع محمد ...)أنظر صحيح مسلم بشرح النووي 156/12 .2- وما هو أثر قول الله عز وجل : (لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) النحل /103 لما ادعى كفار قريش أن محمداً إنما يعلمه بشر وأنه يأخذ القرآن عن نجار رومي بمكة ؟3- وما هو أثر قول الله عز وجل : (ألا في الفتنة سقطوا) التوبة /49 في نفوس المؤمنين لما قال المنافق : " ائذن لي ولا تفتني " ؟أليس تثبيتاً على تثبيت ، وربطاً على القلوب المؤمنة ، ورداً على الشبهات ، وإسكاتاً لأهل الباطل؟ بلى وربي.

-ومن العجب أن الله يعد المؤمنين في رجوعهم من الحديبية بغنائم كثيرة يأخذونها (وهي غنائم خيبر) وأنه سيعجلها لهم وأنهم سينطلقون إليها دون غيرهم وأن المنافقين سيطلبون مرافقتهم وأن المسلمين سيقولون لن تتبعونا وأنهم سيصرون يريدون أن يبدلوا كلام الله وأنهم سيقولون للمؤمنين بل تحسدوننا وأن الله أجابهم بقوله: (بل كانوا لا

يفقهون حديثاً) ثم يحدث هذا كله أمام المؤمنين مرحلة بمرحلة وخطوة بخطوة وكلمة بكلمة.

- ومن هنا نستطيع أن ندرك الفرق بين الذين ربطوا حياتهم بالقرآن وأقبلوا عليه تلاوة وحفظاً وتفسيراً وتدبراً ، ومنه ينطلقون ، وإليه يفيئون ، وبين من جعلوا كلام البشر جل همهم وشغلهم الشاغل، ويا ليت الذين يطلبون العلم يجعلون للقرآن وتفسيره نصيباً كبيراً من طلبهم.

ثانياً: التزام شرع الله والعمل الصالح قال الله تعالى: (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) إبراهيم /27 .قال قتادة : " أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح ، وفي الآخرة في القبر " . وكذا روي عن غير واحد من السلف تفسير القرآن العظيم لابن كثير 421/3 . وقال سبحانه : (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً) النساء /66 . أي على الحق ، وهذا بيّن ، وإلا فهل نتوقع ثباتاً من الكسالى القاعدين عن الأعمال الصالحة إذا أطلت الفتنة برأسها وادلهم الخطب؟! ولكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم صراطاً مستقيماً، ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يثابر على الأعمال الصالحة ، وكان أحب العمل إليه أدومه وإن قل ، وكان أصحابه إذا عملوا عملاً أثبتوه ، وكانت عائشة رضي الله عنها إذا عملت العمل لزمته .وكان يقول: (من ثابر على اثنتي عشرة ركعة وجبت له الجنة) سنن الترمذي 273/2 وقال : الحديث حسن أو

صحيح . وهو في صحيح النسائي 388/1 وصحيح الترمذي 131/1 . أي السنن الرواتب . وفي الحديث القدسي : (ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه) رواه البخاري ، انظر فتح الباري 340/11 .ثالثاً : تدبر قصص الأنبياء ودراستها للتأسي والعمل :والدليل على ذلك قوله تعالى : (وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) هود /120 .فما نزلت تلك الآيات على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم للتلهي والتفكه ، وإنما لغرض عظيم هو تثبيت فؤاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفئدة المؤمنين معه ـ فلو تأملت يا أخي قول الله عز وجل : (قالوا حرقوه وأنصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين ، قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين) الأنبياء /68-70قال ابن عباس: " كان آخر قول إبراهيم حين ألقي في النار : حسبي الله ونعم الوكيل" الفتح 22/8ألا تشعر بمعنى من معاني الثبات أمام الطغيان والعذاب يدخل نفسك وأنت تتأمل هذه القصة ؟ـ فلو تدبرت قول الله عز وجل في قصة موسى : (فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون ، قال كلا إن معي ربي سيهدين) الشعراء /61-62 .ألا تحس بمعنى آخر من معاني الثبات عند ملاحقة الطالبين ، والثبات في لحظات الشدة وسط صرخات اليائسين وأنت تتدبر هذه القصة ؟ .ـ لو استعرضت قصة سحرة فرعون ، ذلك المثل العجيب للثلة التي ثبتت على الحق بعدما تبين .ألا ترى أن معنى عظيماً من معاني الثبات يستقر في النفس أمام تهديدات

الظالم وهو يقول : (آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر ، فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النجل ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى) طه /71ثبات القلة المؤمنة الذي لا يشوبه أدنى تراجع وهم يقولون : (لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا ، فاقض ما أنت قاضٍ ، إنما تقضي هذه الحياة الدنيا) طه /72 .- وهكذا قصة المؤمن في سورة يس ومؤمن آل فرعون وأصحاب الأخدود وغيرها يكاد الثبات يكون أعظم دروسها قاطبة.

رابعاً: الدعاء : من صفات عباد الله المؤمنين أنهم يتوجهون إلى الله بالدعاء أن يثبتهم :(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) ، (ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا) . ولما كانت (قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء) رواه الإمام أحمد ومسلم عن ابن عمر مرفوعاً انظر مسلم بشرح النووي 204/16 .كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول : (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)رواه الترمذي عن أنس مرفوعاً تحفة الأحوذي 349/6 وهو في صحيح الجامع 7864 .

خامساً: ذكر الله : وهو من أعظم أسباب التثبيت - تأمل في هذا الاقتران بين الأمرين في قوله عز وجل : (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً) الأنفال /45. فجعله من أعظم ما يعين على الثبات في الجهاد ." وتأمل أبدان فارس والروم كيف خانتهم أحوج ما كانوا إليها بالرغم

من قلة عدد وعدة الذاكرين الله كثيراً .- وبماذا استعان يوسف عليه السلام في الثبات أمام فتنة المرأة ذات المنصب والجمال لما دعته إلى نفسها ؟ ألم يدخل في حصن " معاذ الله " فتكسرت أمواج جنود الشهوات على أسوار حصنه ؟ وكذا تكون فاعلية الأذكار في تثبيت المؤمنين .

سادساً: الحرص على أن يسلك المسلم طريقاً صحيحاً :والطريق الوحيد الصحيح الذي يجب على كل مسلم سلوكه هو طريق أهل السنة والجماعة ، طريق الطائفة المنصورة والفرقة الناجية ، أهل العقيدة الصافية والمنهج السليم واتباع السنة والدليل ، والتميز عن أعداء الله ومفاصلة أهل الباطل ،وإذا أردت أن تعرف قيمة هذا في الثبات فتأمل وسائل نفسك : لماذا ضل كثير من السابقين واللاحقين وتحيروا ولم تثبت أقدامهم على الصراط المستقيم ولا ماتوا عليه؟ أو وصلوا إليه بعدما انقضى جل عمرهم وأضاعوا أوقاتاً ثمينة من حياتهم؟، فترى أحدهم يتنقل في منازل البدع والضلال من الفلسفة إلى علم الكلام والاعتزال إلى التحريف والتأويل إلى التفويض والإرجاء ، ومن طريقة في التصوف إلى أخرى، وهكذا أهل البدع يتحيرون ويضطربون ، وانظر كيف حُرم أهل الكلام الثبات عند الممات فقال السلف : " أكثر الناس شكاً عند الموت أهل الكلام " لكن فكر وتدبر هل رجع من أهل السنة والجماعة عن طريقه سخطه بعد إذ عرفه وفقه وسلكه ؟ قد يتركه لأهواء وشهوات أو لشبهات عرضت لعقله الضعيف ، لكن لا يتركه لأنه قد رأى أصح منه أو تبين له

بطلانه . ومصداق هذا مساءلة هرقل لأبي سفيان عن أتباع محمد صلى الله عليه وسلم؟ قال هرقل لأبي سفيان : " فهل يرتد أحد منهم سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ " قال أبو سفيان : لا . ثم قال هرقل : " وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب " رواه البخاري ، الفتح 32/1 .سمعنا كثيراً عن كبار تنقلوا في منازل البدع وآخرين هداهم الله فتركوا الباطل وانتقلوا إلى مذهب أهل السنة والجماعة ساخطين على مذاهبهم الأولى ، ولكن هل سمعنا العكس؟

فإن أردت الثبات فعليك بسبيل المؤمنين.

سابعاً: التربية:

التربية الإيمانية العلمية الواعية المتدرجة عامل أساسي من عوامل الثبات التربية الإيمانية: التي تحيي القلب والضمير بالخوف والرجاء والمحبة ، المنافية للجفاف الناتج من البعد عن نصوص القرآن والسنة ، والعكوف على أقاويل الرجال.

التربية العلمية: القائمة على الدليل الصحيح المنافية للتقليد والأمعية الذميمة.

التربية الواعية: التي لا تعرف سبيل المجرمين وتدرس خطط أعداء الإسلام وتحيط بالواقع علماً وبالأحداث فهماً وتقويماً.

التربية المتدرجة: التي تسير بالمسلم شيئاً فشيئاً ، ترتقي به في مدارج كماله بتخطيط موزون ، والمنافية للارتجال والتسرع والقفزات المحطمة، ولكي ندرك أهمية هذا العنصر

من عناصر الثبات ، فلنعد إلى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسائل أنفسنا.

- ما هو مصدر ثبات صحابة النبي صلى الله عليه وسلم وهم في مكة ، إبان فترة الاضطهاد؟

-كيف ثبت بلال وخباب ومصعب وآل ياسر وغيرهم من المستضعفين وحتى كبار الصحابة في حصار الشعب وغيره؟

- هل يمكن أن يكون ثباتهم بغير تربية عميقة من مشكاة النبوة فصقلت شخصياتهم؟ لنأخذ رجلاً صحابياً مثل خباب بن الأرت رضي الله عنه ، الذي كانت مولاته تحمي أسياخ الحديد حتى تحمر ثم تطرحه عليها عاري الظهر فلا يطفئها إلا ودك (أي الشحم) ظهره حين يسيل عليها ، ما الذي جعله يصبر على هذا كله؟

-وبلال تحت الصخرة في الرمضاء ، وسمية في الأغلال والسلاسل.

- وسؤال منبثق من موقف آخر في العهد المدني ، من الذي ثبت مع النبي في حُنين لما انهزم أكثر المسلمين؟ هل هم حديثو العهد بالإسلام ومُسلِمة الفتح الذين لم يتربوا وقتاً كافياً في مدرسة النبوة والذين خرج كثير منهم طلباً للغنائم؟ كلا، إن غالب من ثبت هم أولئك الصفوة المؤمنة التي تلقت قدراً عظيماً من التربية على يد رسول الله ،لو لم تكن هناك تربية ترى هل كان سيثبت هؤلاء؟

ثامناً: الثقة بالطريق :لا شك أنه كلما ازدادت الثقة بالطريق الذي يسلكه المسلم ، كان ثباته عليه أكبر ، ولهذا وسائل منها: استشعار أن الصراط المستقيم الذي تسلكه -يا أخي ليس جديداً ولا وليد قرنك وزمانك ، وإنما هو طريق عتيق (عتيق صفة مدح) قد سار فيه من قبلك الأنبياء والصديقون والعلماء والشهداء والصالحون ، فتزول غربتك ، وتتبدل وحشتك أنساً ، وكآبتك فرحاً وسروراً ، لأنك تشعر بأن أولئك كلهم أخوة لك في الطريق والمنهج.

- الشعور بالاصطفاء ، قال الله عز وجل : (الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) النمل /59 . وقال : (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) فاطر /32 . وقال : (وكذلك يجتبك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث) يوسف /6 . وكما أن الله اصطفى الأنبياء فللصالحين نصيب من ذلك الاصطفاء وهو ما ورثوه من علوم الأنبياء .

- ماذا يكون شعورك لو أن الله خلقك جماداً ، أو دابة ، أو كافراً ملحداً ، أو داعياً إلى بدعة ، أو فاسقاً ، أو مسلماً غير داعية لإسلامه ، أو داعية في طريق متعدد الأخطاء ؟- ألا ترى أن شعورك باصطفاء الله لك وأنْ جعلك داعية من أهل السنة والجماعة من عوامل ثباتك على منهجك وطريقك؟

تاسعاً: ممارسة الدعوة إلى الله عز وجل :النفس إن لم تتحرك تأسن ، وإن لم تنطلق تتعفن ، ومن أعظم مجالات انطلاق النفس: الدعوة إلى الله ، فهي وظيفة الرسل ، ومخلصة النفس من العذاب ؛ فيها تتفجر الطاقات ، وتنجز المهمات (

فلذلك فادع ، واستقم كما أمرت) . وليس يصح شيء يقال فيه " فلان لا يتقدم ولا يتأخر " فإن النفس إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية ، والإيمان يزيد وينقص . والدعوة إلى المنهج الصحيح ببذل الوقت ، وكدّ الفكر ، وسعي الجسد ، وانطلاق اللسان ، بحيث تصبح الدعوة هم المسلم وشغله الشاغل، ليقطع الطريق على محاولات الشيطان بالإضلال والفتنة زد على ذلك ما يحدث في نفس الداعية من الشعور بالتحدي تجاه العوائق ، والمعاندين ، وأهل الباطل ، وهو يسير في مشواره الدعوي ، فيرتقي إيمانه ، وتقوى أركانه، فتكون الدعوة بالإضافة لما فيها من الأجر العظيم وسيلة من وسائل الثبات ، والحماية من التراجع والتقهقر ، لأن الذي يُهاجم لا يحتاج للدفاع ، والله مع الدعاة يثبتهم ويسدد خطاهم والداعية كالطبيب يحارب المرض بخبرته وعلمه ، وبمحاربته في الآخرين فهو أبعد من غيره عن الوقوع فيه.

عاشراً: الالتفاف حول العناصر المثبتة :تلك العناصر التي من صفاتها ما أخبرنا به عليه الصلاة والسلام : (إن من الناس ناساً مفاتيح للخير مغاليق للشر) حسن رواه ابن ماجة عن أنس مرفوعاً 237 وابن أبي عاصم في كتاب السنة 127/1 وانظر السلسلة الصحيحة 1332 .البحث عن العلماء والصالحين والدعاة المؤمنين ، والالتفاف حولهم معين كبير على الثبات . وقد حدثت في التاريخ الإسلامي فتن ثبت الله فيها المسلمين برجال .ومن ذلك : ما قاله علي بن المديني رحمه الله تعالى " أعز الله الدين بالصديق يوم الردة ، وبأحمد

يوم المحنة " .وتأمل ما قاله ابن القيم رحمه الله عن دور شيخه شيخ الإسلام في التثبيت : " وكنا إذا اشتد بنا الخوف ، وساءت بنا الظنون ، وضاقت بنا الأرض أتيناه ، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله عنا ، وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة ، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه وفتح لهم أبوابها في دار العمل ، وآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها " . الوابل الصيب ص 97 .وهنا تبرز الأخوة الإسلامية كمصدر أساسي للتثبيت ، فإخوانك الصالحون والقدوات والمربون هم العون لك في الطريق ، والركن الشديد الذي تأوي إليه فيثبتوك بما معهم من آيات الله والحكمة فالزمهم وعش في أكنافهم وإياك والوحدة فتخطفك الشياطين فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

الحادي عشر: الثقة بنصر الله وأن المستقبل للإسلام : نحتاج إلى الثبات كثيراً عند تأخر النصر ، حتى لا تزل قدم بعد ثبوتها ، قال تعالى : (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ، وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ، فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة) آل عمران /146-148 .ولما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يثبت أصحابه المعذبين أخبرهم بأن المستقبل للإسلام في أوقات التعذيب والمحن فماذا قال ؟ جاء في حديث

خباب مرفوعاً عند البخاري : (وليُتمّن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه) رواه البخاري ، انظر فتح الباري 165/7 . فعرض أحاديث البشارة بأن المستقبل للإسلام على الناشئة مهم في تربيتهم على الثبات .

الثاني عشر: معرفة حقيقة الباطل وعدم الاغترار به : في قول الله عز وجل : (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد) آل عمران /196 تسرية عن المؤمنين وتثبيت لهم . وفي قوله عز وجل : (فأما الزبد فيذهب جفاء) الرعد /17 عبرة لأولي الألباب في عدم الخوف من الباطل والاستسلام له . ومن طريقة القرآن فضح أهل الباطل وتعرية أهدافهم ووسائلهم (وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين) الأنعام /55حتى لا يؤخذ المسلمون على حين غرة ، وحتى يعرفوا من أين يؤتى الإسلام . وكم سمعنا ورأينا حركات تهاوت ودعاة زلت أقدامهم ففقدوا الثبات لما أتوا من حيث لم يحتسبوا بسبب جهلهم بأعدائهم.

الثالث عشر: استجماع الأخلاق المعينة على الثبات : وعلى رأسها الصبر ، ففي حديث الصحيحين : (وما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر) رواه البخاري في كتاب الزكاة - باب الاستعفاف عن المسألة ، ومسلم في كتاب الزكاة - باب فضل التعفف والصبر . وأشد الصبر عند الصدمة الأولى ، وإذا أصيب المرء بما لم يتوقع تحصل النكسة ويزول الثبات إذا عدم الصبر . - تأمل فيما قاله ابن الجوزي رحمه

الله : " رأيت كبيراً قارب الثمانين وكان يحافظ على الجماعة فمات ولد لابنته ، فقال : ما ينبغي لأحد أن يدعو ، فإنه ما يستجيب . ثم قال : إن الله تعالى يعاند فما يترك لنا ولداً " الثبات عند الممات لابن الجوزي ص34تعالى الله عن قوله علواً كبيراً . - لما أصيب المسلمون في أحد لم يكونوا ليتوقعوا تلك المصيبة لأن الله وعدهم بالنصر ، فعلمهم الله بدرس شديد بالدماء والشهداء : (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم) آل عمران /165 ماذا حصل من عند أنفسهم ؟ فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا.

الرابع عشر: وصية الرجل الصالح :عندما يتعرض المسلم لفتنة ويبتليه ربه ليمحصه ، يكون من عوامل الثبات أن يقيض الله له رجلاً صالحاً يعظه ويثبته ، فتكون كلمات ينفع الله بها ، ويسدد الخطى ، وتكون هذه الكلمات مشحونة بالتذكير بالله ، ولقائه ، وجنته ، وناره . وهاك أخي ، هذه الأمثلة من سيرة الإمام أحمد رحمه الله ، الذي دخل المحنة ليخرج ذهباً نقياً .لقد سيق إلى المأمون مقيداً بالأغلال ، وقد توعده وعيداً شديداً قبل أن يصل إليه ، حتى لقد قال خادم للإمام أحمد : (يعز عليّ يا أبا عبد الله ، أن المأمون قد سل سيفاً لم يسله قبل ذلك ، وأنه يقسم بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لئن لم تجبه إلى القول بخلق القرآن ليقتلنك بذلك السيف) البداية والنهاية 332/1 . وهنا ينتهز

الأذكياء من أهل البصيرة الفرصة ليلقوا إلى إمامهم بكلمات التثبيت ؛ ففي السير للذهبي 238/11 عن أبي جعفر الأنباري قال : " لما حُمِل أحمد إلى المأمون أخبرت ، فعبرت الفرات ، فإذا هو جالس في الخان فسلمت عليه . فقال : يا أبا جعفر تعنيت . فقلت : يا هذا ، أنت اليوم رأس والناس يقتدون بك ، فو الله لئن أجبت إلى خلق القرآن ليجيبن خلق وإن لم تُجب ليمتنعن خلق من الناس كثير ، ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك ، فإنك تموت ، لابد من الموت ، فاتق الله ولا تجب . فجعل أحمد يبكي ويقول : ما شاء الله . ثم قال : يا أبا جعفر أعِد .. فأعدت عليه وهو يقول : ما شاء الله ... أ.هـ " وقال الإمام أحمد في سياق رحلته إلى المأمون : " صرنا إلى الرحبة منها في جوف الليل ، فعرض لنا رجل فقال : أيكم أحمد بن حنبل .فقيل له : هذا . فقال للجمال : على رسلك .. ثم قال : " يا هذا ، ما عليك أن تُقتل ها هنا ، وتدخل الجنة " ثم قال : أستودعك الله ، ومضى .فسألت عنه ، فقيل لي هذا رجل من العرب من ربيعة يعمل الصوف في البادية يقال له : جابر بن عامر يُذكر بخير " سير أعلام النبلاء 241/11 .وفي البداية والنهاية : أن أعرابي قال للإمام أحمد : " يا هذا إنك وافد الناس فلا تكن شؤماً عليهم ، وإنك رأس الناس اليوم فإياك أن تجيبهم إلى ما يدعونك إليه ، فيجيبوا فتحمل أوزارهم يوم القيامة ، وإن كنت تحب الله ، فاصبر على ما أنت فيه ، فإنه ما بينك وبين الجنة إلا أن تقتل " .قال الإمام أحمد : وكان كلامه مما قوى عزمي على ما أنا فيه من الامتناع عن ذلك الذي يدعونني إليه . البداية والنهاية

332/1وفي رواية أن الإمام أحمد قال : " ما سمعت كلمة وقعت في هذا الأمر أقوى من كلمة الأعرابي كلمني بها في رحبة طوق وهي بلدة بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات ، قال : " يا أحمد إن يقتلك الحق متّ شهيداً ، وإن عشت . عشت حميداً .. فقوي قلبي " سير أعلام النبلاء 241/11 .ويقول الإمام أحمد عن مرافقة الشاب محمد بن نوح الذي صمد معه في الفتنة :ما رأيت أحداً - على حداثة سنه ، وقدر علمه - أقوم بأمر الله من محمد بن نوح ، إني لأرجو أن يكون قد ختم له بخير .قال لي ذات يوم : " يا أبا عبد الله ، الله الله ، إنك لست مثلي ، أنت رجل يُقتدى بك ، قد مد الخلق أعناقهم إليك ، لما يكون منك ، فاتق الله ، واثبت لأمر الله . فمات وصليت عليه ودفنته . سير أعلام النبلاء 242/11 .وحتى أهل السجن الذين كان يصلي بهم الإمام أحمد وهو مقيد ، قد ساهموا في تثبيته .فقد قال الإمام أحمد مرة في الحبس : " لست أبالي بالحبس - ما هو ومنزلي إلا واحد - ولا قتلاً بالسيف ، وإنما أخاف فتنة السوط "فسمعه بعض أهل الحبس فقال : " لا عليك يا أبا عبد الله ، فما هو إلا سوطان ، ثم لا تدري أين يقع الباقي " فكأنه سُرِّي عنه . سير أعلام النبلاء 240/11 .فاحرص أيها الأخ الكريم على طلب الوصية من الصالحين : وأعقلها إذا تليت عليك - اطلبها قبل سفر إذا خشيت مما قد يقع فيه- اطلبها أثناء ابتلاء ، أو قبل محنة متوقعة - اطلبها إذا عُينت في منصب أو ورثت مالاً وغنى .وثبت نفسك ، وثبت غيرك والله ولي المؤمنين .الخامس عشر : التأمل في نعيم الجنة وعذاب النار وتذكر

الموت : والجنة بلاد الأفراح ، وسلوة الأحزان ، ومحط رحال المؤمنين والنفس مفطورة على عدم التضحية والعمل والثبات إلا بمقابل يهوّن عليها الصعاب ، ويذلل لها ما في الطريق من عقبات ومشاق . فالذي يعلم الأجر تهون عليه مشقة العمل ، وهو يسير ويعلم بأنه إذا لم يثبت فستفوته جنة عرضها السموات والأرض ، ثم إن النفس تحتاج إلى ما يرفعها من الطين الأرضي ويجذبها إلى العالم العلوي، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستخدم ذكر الجنة في تثبيت أصحابه ، ففي الحديث الحسن الصحيح مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بياسر وعمار وأم عمار وهم يؤذون في الله تعالى فقال لهم : (صبراً آل ياسر صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة) رواه الحاكم 383/3 ، وهو حديث حسن صحيح ، انظر تخريجه في فقه السيرة تحقيق الألباني ص103 . وكذلك كان صلى الله صلى الله صلى الله صلى الله عليه وسلم يقول للأنصار : (إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض) متفق عليه . وكذلك من تأمل حال الفريقين في القبر ، والحشر ، والحساب ، والميزان ، والصراط ، وسائر منازل الآخرة كما أن تذكر الموت يحمي المسلم من التردي ، ويوقفه عند حدود الله فلا يتعداها ، لأنه إذا علم أن الموت أدنى من شراك نعله ، وأن ساعته قد تكون بعد لحظات ، فكيف تسول له نفسه أن يزل ، أو يتمادى في الانحراف ، ولأجل هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أكثروا من ذكر هادم اللذات) رواه الترمذي 50/2 وصححه في ارواء الغليل 145/3 .مواطن الثبات وهي كثيرة تحتاج

إلى تفصيل ، نكتفي بسرد بعضها على وجه الإجمال في هذا المقام : أولاً : الثبات في الفتن :التقلبات التي تصيب القلوب سببها الفتن ، فإذا تعرض القلب لفتن السراء والضراء فلا يثبت إلا أصحاب البصيرة الذين عمّر الإيمان قلوبهم .ومن أنواع الفتن ـ فتنة المال : (ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله لنصدّقن ولنكونّن من الصالحين ، فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون) التوبة /75،76فتنة الجاه : (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً) الكهف /28 .وعن خطورة الفتنتين السابقتين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه) رواه الإمام أحمد في السند 460/3 وهو في صحيح الجامع 5496 . والمعنى أن حرص المرء على المال والشرف أشد فساداً للدين من الذئبين الجائعين أرسلا في غنم .ـ فتنة الزوجة : (إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم) التغابن /14 .ـ فتنة الأولاد : (الولد مجبنة مبخلة محزنة) رواه أبو يعلى 305/2 وله شواهد ، وهو في صحيح الجامع 7037 .ـ فتنة الاضطهاد والطغيان والظلم : ويمثلها أروع تمثيل قول الله عز وجل : (قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود ، إذ هم عليها قعود ، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ، وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ، الذي له ملك السموات

والأرض والله على كل شيء شهيد) البروج 4-9 . وروى البخاري عن خباب رضي الله عنه قال : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة في ظل الكعبة ، فقال عليه السلام : (قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها فيُجاء بالمنشار ، فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد، من دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه (رواه البخاري ، انظر فتح الباري 315/12 - فتنة الدجال : وهي أعظم فتن المحيا : (يا أيها الناس إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض منذ ذرأ الله آدم أعظم من فتنة الدجال .. يا عباد الله ، أيها الناس : فاثبتوا فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه قبلي نبي ..) رواه ابن ماجه 1359/2 انظر صحيح الجامع 7752.وعن مراحل ثبات القلوب وزيغها أمام الفتن يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً. عوداً ، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء ، حتى يصير على قلبين ، على أبيض مثل الصفا ، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض ، والآخر أسود مربداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ، ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه)رواه الإمام أحمد 386/5 ، ومسلم 128/1 واللفظ له . " معنى عرض الحصير : أي تؤثر الفتن في القلب كتأثير الحصير في جنب النائم عليه . ومعنى مربداً : بياض شديد قد خالطه سواد ، مجخياً : أي مقلوباً منكوساً . " ثانياً : الثبات في الجهاد :(يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا) الأنفال /45 . ومن الكبائر في ديننا الفرار من

الزحف وكان عليه الصلاة والسلام وهو يحمل التراب على ظهره في الخندق يردد مع المؤمنين : (وثبت الأقدام إن لاقينا) رواه البخاري في كتاب الغزوات ، باب غزوة الخندق انظر الفتح 399/7 .ثالثاً : الثبات على المنهج :(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلاً) الأحزاب /23 مبادئهم أغلى من أرواحهم ، إصرار لا يعرف التنازل . رابعاً : الثبات عند الممات : أما أهل الكفر والفجور فإنهم يحرمون الثبات في أشد الأوقات كربة فلا يستطيعون التلفظ بالشهادة عند الموت ، وهذا من علامات سوء الخاتمة كما قيل لرجل عند موته : قل لا إله إلا الله فجعل يحرك رأسه يميناً وشمالاً يرفض قولها . وآخر يقول عند موته : " هذه قطعة جيدة ، هذه مشتراها رخيص " ، وثالث يذكر أسماء قطع الشطرنج . ورابع يدندن بألحان أو كلمات أغنية ، أو ذكر معشوق . ذلك لأن مثل هذه الأمور أشغلتهم عن ذكر الله في الدنيا . وقد يرى من هؤلاء سواد وجه أو نتن رائحة ، أو صرفه عن القبلة عند خروج أرواحهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، أما أهل الصلاح والسنة فإن الله يوفقهم للثبات عند الممات ، فينطقون بالشهادتين . وقد يُرى من هؤلاء تهلهل وجه أو طيب رائحة ونوع استبشار عند خروج أرواحهم . وهذا مثال لواحد ممن وفقهم الله للثبات في نازلة الموت ، إنه أبو زرعة الرازي أحد أئمة أهل الحديث وهذا سياق قصته : قال أبو جعفر محمد بن علي ورّاق أبي زرعة : حضرنا أبا زرعة في شهران قرية من قرى الري وهو في السَّوْق أي

عند احتضاره وعنده أبو حاتم وابن واره والمنذر بن شاذان وغيرهم ، فذكروا حديث التلقين (لقنوا موتاكم لا إله إلا الله) واستحيوا من أبي زرعة أن يلقنوه ، فقالوا تعالوا نذكر الحديث ، فقال ابن واره : حدثنا أبو عاصم حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن صالح ، وجعل يقول ابن أبي - ولم يجاوزه - فقال أبو حاتم : حدثنا بُندار حدثنا أبو عاصم ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن صالح ، لم يجاوز ، والباقون سكتوا ، فقال أبو زرعة وهو في السَّوْق " وفتح عينيه " حدثنا بُندار حدثنا أبو عاصم حدثنا عبد الحميد عن صالح ابن أبي غريب عن كثير بن مرة عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) وخرجت روحه رحمه الله . سير أعلام النبلاء 13/76-85 . ومثل هؤلاء قال الله فيهم : (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) فصلت /30 . 13]. وفي الختام أود أن أقول أن الفائز والمثبت من ثبته الله فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ولم يقل للإيمان لأنه البداية فلن يثبت علي الطريق إلا كل موفق مهدي فنسأل الله أن يثبتنا علي الطريق المستقيم ويقبضنا إليه علي الحق وطريق النبيين وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام علي المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلي اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آلة وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

كتبه وأعده:

سيد أحمد أمين

رقم /ISBN #: 978-1-387-05581-4